وزارة التعليم العاليوالبحث العلمي
الجامعة المستنصرية

مجلة الفلسفة

العدد ٣٢ كانون الأول ٢٠٢٥

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
تعنى بنشر البحوث في مجالات الفلسفة المختلفة
وما له صلة بها في العلوم الإنسانية الأخرى

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

DOI: 10.35284 المعرف الدولي ISSN: 1136–1992 الترقيم الدولي

تحولات المفاهيم الفيزيائية وأثرها على إشكالية الحرية في فلسفة العلم المعاصر

الضرورة الصارمة و الحرية المقننة قراءة في إشكالية تصور الرواقية للفعل البشري

التربية الأخلاقية من منظور إميل دوركهايم

قيم العقل العملي عند سبينوزا

تحولات فلسفة المراقبة من (مجتمع الانضباط) عند ميشيل فوكو
الى (مجتمع التحكم) عند زيجمونت باومان

مشروعية الإيمان الفلسفي عند كارل ياسبرز – جدلية العقل والوجود

مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس

اللا شعورية الرمزية في البنيوية اللغوية

اكسيل هونيث وبول ريكور جدلية الاعتراف بين الذات والآخر

إشكاليّة الهويّة في الفكر العربيّ المعاصر - عليّ حرب أنموذجاً -

مجلة الفلسفة
العدد ٣٢
كانون الأول ٢٠٢٥

Ministry of Higher Education
&Scientific Research
Mustansiriyah University

PHILOSOPHY

Journal

No. 32 December 2025
AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS - MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

CONCERNED WITH PUBLISHING RESEARCHES IN VARIOUS FIELDS OF PHILOSOPHY AND WHAT IS RELATED TO IT IN OTHER HUMAN SCIENCES

ISSN: 1136–1992 DOI: 10.35284

Transformations of physical concepts and their impact on the problem of freedom in contemporary philosophy of science

Strict Necessity and Regulated Freedom A Reading of the Problematic of the Stoic Conception of Human Action

Moral Education from the Perspective of Émile Durkheim

The Ethical Values in Spinoza's Thought

" The transformation of the philosophy of surveillance from Michel Foucault's "society of discipline" to Zygmunt Bauman's "society of control

The legitimacy of philosophical faith according to Karl Jaspers - the dialectic of mind and existence

'The problem of Fatalism and Choice in William James

The Symbolic Unconscious in Structural Linguistics

Axel Honneth and Paul Ricouer the Dialectic of Recognition between Self and other

The problem of identity in contemporary Arab thought: Ali Harb as a model

مجلة الفلسفة

مجلة محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على الترقيم الدولي (ISSN: (1992-1136

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم prefix: 1035284

هيئة التحرير :

- رئيس التحرير : أ.د. حسون عليوي فندي السراي.

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الفلسفة.

- مدير التحرير : م.د. محمد محسن أبيش

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير :

- أ.د. مصطفى النشار كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر)
- أ.د. يمنى طريف الخولي كلية الآداب / جامعة القاهرة - مصر)
- أ.د. خوان ريفيرا بالومينو) سان ماركوس - بيرو)
- أ.د. عفيف حيدر عثمان (الجامعة اللبنانية - لبنان)
- أ.د. إحسان علي شريعتي) كلية الأديان / جامعة طهران - ايران)
- أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية - مصر)
- أ.د. علي عبد الهادي المرهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)
- أ.د. صلاح فليفل عايد الجابري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)
- أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي) كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)
- أ. د. إحسان علي الحيدري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)
- أ.د. زيد عباس الكبيسي كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق)

البريد الإلكتروني :

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

الترقيم الدولي (ISSN: (1992-1136

فهرست بدار الكتب والوثائق وايداعها تحت رقم (742) لسنة (2002)

العدد الثاني والثلاثون

كانون الأول

2025

مسؤول الدعم الفني

م.د. مؤيد جبار رسن

كلية الآداب / المستنصرية

الاشراف اللغوي

م.م. محمد محسن خلف

كلية الآداب/ المستنصرية

اخراج وتنضيد

م.م. شهد رحيم محمد

مسؤول الموقع الإلكتروني

م.د أسماء جعفر فرج

PHILOSOPHY Journal

مجلة الفلسفة

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية وحاصلة على الرقم الدولي ISSN 1136-1992

تعنى بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية والفكرية العامة في مجالات الفلسفة المختلفة: مجال تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية والوسيطة - مسيحية وإسلامية، والحديثة والمعاصرة (الغربية) ، والفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر) ، ومجال الميتافيزيقا والتأويل، وفلسفة اللغة والدين والمعرفة والتاريخ والجمال والفن والأدب والسياسة والقانون ، ومجال الموضوعات النظرية العامة الأخرى (الناظرة في: العقائد والعرفان والحضارة والمنهجيات المعرفية والبحثية) ، وأي موضوع ثقافي أو فكري يتضمن بعداً تنظيرياً حول الإنسان والهوية والزمان والحدث.

والنشر في المجلة باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية .

ومما تتوخاه المجلة - فضلاً عن خدماتها الأكاديمية المعروفة- ترصين الثقافة،ونشر الوعي النقدي البناء وفتح السبل أمام التقدم بالفكر والازدهار الحضاري المميز .

شروط النشر في مجلة الفلسفة التي تصدر عن كلية الاداب / الجامعة المستنصرية / العراق

وهي مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، تحمل الرقم الدولي (ISSN) 1192-1136.وحاصلة على المعرف الدولي (Doi) تحت رقم ٣٥٢٤٨–١٠. وتضم في هيئة تحريرها وعضويتها كبار المتخصصين بالفلسفة من العراق والعالم العربي ، ممن يحمل لقب الأستاذية .

- يجب ان يكون البحث المرسل للمجلة مكتوب بخط (simplefide Arabic) بحجم (١٤) للمتن و(١٢) للهامش ، ومنضدة على (CD) خاص.
- يرفق مع البحث المفاتيح الخاصة به .
- يرفق مع البحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عدد كلماته عن (١٥٠) كلمة ، ويوضع في بداية البحث بعد العنوان .
- يكون توثيق الهامش في داخل متن البحث بعد اخذ النص من المصدر أو المرجع ، وعلى وفق الآتي : (اسم المؤلف ، السنة ، الصفحة) ولا يكون التوثيق في آخر البحث .
- يكون التوثيق للمصدر أو المرجع في نهاية البحث وبخط مائل ، وعلى وفق الآتي : المؤلف (سنة النشر) ، اسم الكتاب ، مكان النشر : الناشر .

نموذج تطبيقي : *الجابري ، محمد عابد(٢٠٠٣) ، نقدالعقل العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية* .

- يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر من قبل ، أو قبل للنشر في أي مجلة داخل العراق أو خارجه.
- يخضع البحث للتقويم السري والاستلال الالكتروني من قبل خبراء مختصين .
- البحوث المنشورة في الجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة .
- يدفع الباحث العراقي الذي يروم نشر بحثه في المجلة مبلغا قدره (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار عراقي ، ويدفع الباحث العربي او الاجنبي مبلغا قدره (١٠٠$) مائة دولار امريكي .
- ترسل المجلة بعد صدور العدد نسخة بمثابة هدية للباحث ، وان طلب المزيد يدفع (١٠) آلاف عراقي عن كل نسخة .

المحتويات

البحث	أسم الباحث	الصفحة
كلمة العدد	رئيس التحرير	١–٢
❖ محور الفلسفة اليونانية والاسلامية		
١ : الضرورة الصارمة و الحرية المقننة : قراءة في إشكالية تصور الرواقية للفعل البشري	م. د مؤيد جبار رسن	٣–٢٥
٢ : الرؤية الإسلامية في خلق العالم	م.م سعده طعمة محسن	٢٦_٥١
❖ محور الفلسفة الحديثة والمعاصرة		
١ : تحولات المفاهيم الفيزيائية واثرها على إشكالية الحرية في فلسفة العلم المعاصر	أ.م.د.أكرم مطلك محمد	٥٢_٨٢
٢ : التربية الأخلاقية من منظور إميل دوركهايم	أ.م.د نسرين خليل حسين	٨٣_١٠٤
٣ : تحولات فلسفة المراقبة من (مجتمع الانضباط)عند ميشيل فوكو الى (مجتمع التحكم) عند زيجمونت باومان	أ.م.د علاء كاظم مسعود	١٠٥_١٢٦
٤ : مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس	م.د. إيناس صباح مهنا	١٢٧– ١٤٣
٥ : مشروعية الإيمان الفلسفي عند كارل ياسبرز : جدلية العقل والوجود	م.د مثنى ياسين صالح	١٤٤_١٦٠
٦ : اكسيل هونيث وبول ريكور جدلية الاعتراف بين الذات والآخر	م. د. غصون عبد محمد	١٦١_١٨١
٧ : اللا شعورية الرمزية في البنيوية اللغوية	م.م. نوزاد عبدالله محمد	١٨٢_٢٠٢
٨ : قيم العقل العملي عند سبينوزا	م. م عقيل عبد الله عزيز	٢٠٣_٢١٣
❖ محور علم الكلام السلامي والفكر العربي المعاصر		
١ : الفلسفة التطبيقية عند محمد محمود الكبيسي	أ.م.د. عمر سعدي عباس	٢١٤_٢٢٥
٢ : إشكاليّة الهُوِيّة في الفكر العربيّ المعاصر: عليّ حرب أُنموذجاً	م.د . حوراء عطا مغيطي	٢٢٦_٢٤٤
٣ : فلسفة الموت وأحكامه في الإسلام	م.د. غسان ياسين عكلو	٢٤٥_٢٧٧
٤ : جدلية العقل والنص : دراسة كلامية	م.م إخلاص جعفر محمد	٢٧٨_٣٠٧
٥ : مفهوم الحرية عند مفكري الإمامية المعاصرين	م.م.فرح عبد الصاحب سلمان	٣٠٨_٣٢١
٦ : شيوع ظاهرة التطرف الفكري في المجتمع الإسلامي : دراسة في منظور الفكري الاسلامي	م.م. وسن صباح صالح	٣٢٢_٤٤١
❖ محور الدراسات الاخرى		
١ : الانثروبولوجيا الرقمية والتصور الافتراضي للإنسان	أ.م.د رؤى لؤي عبد الله	٤٤٢_٣٥٧
٢ : العولمة والغزو التكنولوجي للثقافات بحث في الأنثروبولوجيا الثقافية	م.م نورا محسن جاسم	٣٥٨_٣٧٢
٣ : السؤال السقراطي وتوظيفاته في الإرشاد الفلسفي (الكوتشينج انموذجاً)	م.م. نور هاشم طه م.م. فنر ميسر سامر سمير سعد	٣٧٣_٣٨٨

		❖ محور الدراسات باللغة الاجنبية
389_406	Assis. Prof.Najat Abdul Muttalib M.Jawad	1: Additions & Deletions in Translation of Chapter Two of Carlyle's 'Heroes & Hero-Worship: Applying Venuti's Theory
407_421	Fatimaatulzahraa' Nasser Hasen	3: Studying the Philosophy of the Consecutive Interpreter and the Obstacles of Consecutive Interpreting
422_332	Ahmed Chaker Ghani	2: La conception de l'absurde et La logique de la quête de sens dans Le Mythe de Sisyphe de Camus

كلمة العدد

في مطلع العام الجديد تطلّ مجلة الفلسفة في عددها الـ (٣٢) على القارئ الكريم ، سواء كان متخصصاً في مجالها، أو مثقفاً عاماً ـــ مُحباً للفكر والتنوّر، بسياحة أخرى من فضاء الفكر الفلسفي المتنوع بثرائه والمختلف بعمقه، وذلك بمجموعة منتقاة ـــ هذه المرة ـــ من الدراسات والبحوث الجادة والمُعمّقة التي لا يسعنا إلا الإطلالة على البعض منها :

سيتعرف القارئ ، إبتداءً، على شطر من النقاش الفلسفي المثير للتساؤل يبدأ من مقاربة إشكالية الحرية والضرورة في الطبيعة الإنسانية كما تجسدت في الفكر اليوناني ـــ الرواقي بخاصة؛ وهي إشكالية عامة ما تزال في قمة إهتمام الباحثين المعاصرين كما كانت في أفق الحداثة والتنوير .

وفي مقابل فحص إمكان الحرية وإشكاليتها في الفلسفة القديمة سيطلع القارئ على ذات الإشكالية ولكن من وجهة نظر أسلامية ، وبخاصة عند (مفكري الإمامية المعاصرين) وهم يشكلون الآن مدرسة كلامية تحاول أن توازن بين الاصالة الشرعية والواقع المعاصر .

وبما أن هذه المقاربة للحرية بعامة، هي جزء من السعي لبيان ما للعقل وما للتراث ـــ أو النقل ـــ فقد رأينا أن تُعزّز ببحث يدور حول جدلية العقل والنص ، من وجهة نظر كلامية إسلامية بطبيعة الحال، كما هو الحال عند المعتزلة الذين جعلوا العقل أصلاً في المعرفة (بحسب البحث) والحُسن والقبح ، والاشاعرة الذين قصروا دور العقل على فهم النص دون فصله عن الشرع .

وبقدر ما لم تكن الفلسفة القديمة تفصل بين تصوراتها عن الكون والإنسان وبين النتائج التي وصلت إليها العلوم الطبيعية في عصرها، فإن البحث عن إمكان الإقرار بالإرادة الحرة وفق مقاربات الفلسفة المعاصرة، لم يعد يفصل بين هذا الإمكان والعلم المعاصر .

ومن هذا المنظور سيطلع القارئ على بحث يرصد إمكان هذه الحرية في ضوء تحولات المفاهيم الفيزيائية الكبرى (بدءاً من الميكانيكا الكلاسيكية وصولاً إلى النظرية النسبية وميكانيكا الكم) بغرض بيان كيف ساهم إنهيار التصورات المطلقة للزمان والمكان والكتلة في إعادة طرح مسألة الإرادة الحرة ضمن سياق علمي وفلسفي جديد .

واتساقاً مع فضاء هذه الإشكاليات المتعلقة بالإرادة الحرة بإزاء تحديات العلم المعاصر، ومكانة العقل الإنساني في المعرفة بإزاء النص والنقل ، نطالع مقاربة أخرى معاصرة تمعن النظر في جدلية (الاعتراف) بين الذات والآخر ، ودورها في تشكيل الهوية الفردية والاجتماعية كما طرحها فيلسوفان معاصران اصبحا معروفين بهذا الفضاء من البحث ، وهما : أكسيل هونيت وبول ريكور .

هذا إلماع لما ورد من موضوعات بحوث ودراسات هذا العدد ، ونأمل في أن يكون رافداً معرفياً لترسيخ الإعتقاد بجوهرية العقل الإنساني في التكوين الحضاري وبحقيقة الحرية الإنسانية بل والدفاع عنها بوصفها حقاً مقدساً لا يجوز المساس به كما يقول فيلسوف النقد، وبالتالي فيلسوف الفلسفة (كانط).

رئيس التحرير

مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس

م. د. إيناس صباح مهنا

جامعة الموصل / قسم الفلسفة

المُلخص

تُعد مشكلة الجبر والاختيار عند وليم جيمس، من القضايا الفلسفية الأساسية التي ناقشها ضمن إطار فلسفته البراغماتية ونظريته في الارادة الحُرة. نقد جيمس ورفض الجبرية الصارمة وانتصر لفكرة الإرادة الحُرة، فلم يتناولها كفكرة فلسفية فقط وإنما كتجربة شعورية ونفسية يعيشها الإنسان، مؤكداً أن الإنسان يمتلك القدرة على إتخاذ قرارته بُحرية. ويوضح البحث كيف ان جيمس يعد الحرية جزءاً من كرامة الإنسان، وان العالم ليس محكوماً بالحتمية (الجبرية) بل بالمصادفة والتعدد (أي أن العالم مليء بالاحتمالات المفتوحة). كما يناقش العلاقة بين الإرادة الحُرة والمسؤولية، إذ يرى جيمس أن القول بحرية الإرادة الإنسانية لا يعني فقط القدرة على إتخاذ قرارات، بل يعني ايضاً أن الإنسان يمتلك مسؤولية عن أفعاله، الامر الذي يُعزز من مفهوم الثواب والعقاب. يهدف البحث إلى إستكشاف مفهوم الجبر والاختيار في فلسفة وليم جيمس، وتحليل موقفه من حرية الإرادة وعلاقتها بمفهوم المسؤولية. وكذلك توضيح كيف يرى جيمس الإنسان ككائن حُر في اختياراته، وتحليل دور التعددية والمُصادفة في رؤيته للحرية.

الكلمات المفتاحية (وليم جيمس – البراجماتية – الجبر – الإختيار – مُشكلة – المُصادفة – الحتمية)

The problem of Fatalism and Choice in William James' Philosophy

Abstract

The problem of Fatalism and Choice in William James's Philosophy stands as one of the central issues he examined within the framework of his pragmatic thought and his theory of free will. James firmly criticized and rejected strict determinism, advocating instead for the notion of free will not merely as a philosophical abstraction, but as an existential and psychological experience lived by the individual. He maintained that human beings possess the genuine capacity to make autonomous choices.

This study demonstrates how James viewed freedom as an essential

component of human dignity, and how he believed that the world is not governed by rigid necessity, but rather by chance and plurality-that is, a world characterized by open possibilities. The paper also explores the connection between free will and moral responsibility, emphasizing James's view that affirming human freedom entails not only the ability to choose but also the moral accountability for one's actions, thereby reinforcing the philosophical grounds for reward and punishment.

The research aims to investigate the concepts of the determinism and choice in James's philosophy, to analyze his stance on free will and its relation to responsibility, and to clarify how James conceives of the human being as a free agent within a world shaped by contingency and pluralism.

Keyword: William James – Pragmatism – Determinism – Free Will – Problem – Chance – Necessity.

المقدمة

طالما شكلت إشكالية الجبر والاختيار محوراً رئيساً في النقاشات الفلسفية، إذ انقسم الفلاسفة بين من يؤمن بأن كل شيء في الوجود محكوم بقوانين سببية صارمة، وبين من يرى أن للإنسان حرية في تشكيل مصيره. وليم جيمس William James (١٨٤٢–١٩١٠م) الفيلسوف الأمريكي البارز، قدم مُقاربة مُختلفة لهذه الإشكالية، مُستنداً الى رؤيته البراغماتية التي تربط صدق الأفكار بنتائجها الفعلية في الحياة (الواقع).

يُجادل جيمس بأن الإيمان بحرية الإختيار ليس مجرد إفتراض نظري، بل هو تجربة مُعاشة يختبرها الأفراد في حياتهم اليومية، فكل إنسان يواجه مواقف يعتقد فيها انه قادر على اتخاذ أكثر من مسار، وهو ما يدل، من وجهة نظره، على أن الإرادة الحرة ليست وهماً نفسياً أو نتاجاً للوهم الفلسفي، بل حقيقة واقعية علمية، يمكن التحقق منها من خلال أثارها النفسية والسلوكية، لا سيما في تعزيز الشعور بالمسؤولية ودفع الأفراد إلى إتخاذ قرارات أخلاقية.

إن دراسة موقف جيمس من هذه المسألة مُثير للإهتمام، لا سيما أنه فيلسوف براغماتي عملي ينتمي إلى مجتمع غربي ليبرالي يؤمن بالديمقراطية الفردية، مما يُضفي طابعاً خاصاً على فهمه للمسؤولية والإختيار. وقد تميزت فلسفته شأنه شأن فلسفات زملائه في المذهب البراغماتي، كتشارلز بييرس Charles Sanders Peirce (١٨٣٩–١٩١٤م) وجون ديوي John Dewey (١٨٥٩–١٩٥٢م)، بالتركيز على الفائدة العملية للأفكار. إلا أن جيمس يختلف عنهما في موقفه من الميتافيزيقا، إذ قدم لنا رؤية

خاصة به وموقف جديد من قضايا الميتافيزيقا، ومنحها مساحة واسعة من مشروعه الفكري الفلسفي، وناقش من خلالها قضايا جوهرية مثل: الجوهر، والمادة، والروح، والمطلق، والإرادة الحرة.

ويكاد يكون جيمس الفيلسوف البراجماتي الوحيد الذي تناول مشكلة الجبر والإختيار بهذا القدر من العمق والتفصيل، إذ وضع لها محاضرة كاملة بعنوان (معضلة الحتمية) ضمن الجزء الثاني من كتابه الشهير (إرادة الاعتقاد) وهو (العقل والدين). وتُعد هذه المحاضرة من أبرز ما كتبه جيمس في هذا المجال، وتكشف عن رؤيته المتفردة التي تمزج بين الفلسفة والعلم والتجربة الأخلاقية.

تعريف الجبر والإختيار لُغةً واصطلاحاً

تقتضي طبيعة البحث الفلسفي أن نبدأ بتحديد وتوضيح المفاهيم، إذ تكتسب المصطلحات معانٍ دقيقة تختلف بحسب السياقات الثقافية والفكرية، وبما أن البحث يتناول مشكلة الجبر والإختيارعند وليم جيمس، فلا بُد من تحديد مصطلحي (الجبر) و (الإختيار)، كما وردا في معاجم اللغة العربية، من أجل ضبط المفهوم في ذهن القارئ العربي، والتأسيس اللغوي لمعاني (الجبر) و(الإختيار)، وهو بمثابة تمهيد لفهم المفهومين كما يُطرحان في الفلسفة الغربية، حيث سيركز هذا البحث على تحليل دلالة الحتمية (Determinism) وحرية الإرادة (Free Will) كما وردتا في أعمال الفيلسوف وليم جيمس، ضمن إطار فلسفته البراغماتية.

ورد مفهوم الجَبْرُ في (لسان العرب) لابن منظور، بمعنى الإكراه والقسر، "الاجبَار هو القَهْرُ وألإِكْراهُ .. وعامة العرب يقولون: أَجْبَرَهُ. والجَبْرُ: تثبيت وقوع القضاء والقدروالاجبار في الحكم، يُقال أَجبَرَ القاضي الرجل على الحكم إذا أكرههُ عليه، وقيل للجبرية جبرية لأنهم نُسِبوا إلى القول بالجبر" (ابن منظور، ١٩٩٩، الصفحات ٥٣٤-٥٣٦)، وهو "نفي الفعل حقيقة عن العبد، واضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أو المُجبرة هم أصحاب مذهب الجبر" (الحفني، ٢٠١٠، صفحة ٤٥٢).

أما الجبرية تعني "تعلق ضرورة حدوث الأشياء على مبدا أعلى منها؛ يُسيرها كما يشاء، فهي إذن ضرورة مُتعالية" (صليبا، ١٩٨٢، صفحة ٣٨٩). وفي دليل أكسفورد للفلسفة وردت بمعنى "الاعتقاد بأن تقليب الرأي والفعل ليسا مُجديين لأن المستقبل سوف يكون على حاله بصرف النظر عما سوف تقوم به، وفق برهان (اللاجدوى) ... لذا فإن كل الأفعال والخيارات ليست مُجدية لأنها عاجزة عن التأثير في المستقبل" (هوندرتش، ٢٠٠٣، الصفحات ٢٢٦-٢٢٧). ومذهب

الجبريـة Fatalism "يعتـبر كـل حـوادث الحيـاة الإنسانية مثبتة قبل حدوثها، ولا يمكن لأية قـوة مهمـا عظمت أن تمنع هذا الحدوث، وغالباً ما يكون وراء هـذا النظام الصارم مُسبب واحد ما ورائي. فالجبرية تعني إذاً نفـي كـل فعاليـة للحريـة الإنسـانية" (زيـادة، المـدارس والمـذاهب والاتجاهـات والتيـارات، ١٩٨٨، الصـفحات ٤٥٠-٤٥٤). وهذا إنكار لوجود إرادة حُرة وفاعلـة عنـد الإنسان، وعدم القدرة على اتخاذ أي قرار بشأن حياتـه والعالم المُحيط به.

يقـــترن مصـــطلح الجـــبر بمفهـــوم الحتميـــة Determinism ، وقد حـل هـذا المفهـوم بمعنـاه العلمي محل الجبرية الدينية (Fatalism) في العصر الحديث عند العلمـاء والفلاسـفة الغـربيين، وهـو "نظـرة شاملة لكل أنواع الظواهر أو الحـوادث في الكـون، تقـول بأن كل ما يحدث في الكون على الإطلاق يخضع لقـانون سببي ما...إن مبدأ الحتميـة يتضـمن افتراضـات اخـرى تسبقه وتـبرره وتهبـهُ محتـواه، أولهـا ان ثمـة نظامـاً في الطبيعـة، وأن هـذا النظـام المُتكـرر الوقـوع في اطـراد، وتحكم ذلك الاطراد العلاقة بين العلة والمعلول" (زيـادة، الموسوعة الفلسـفية العربيـة، ١٩٨٦، الصـفحات ٣٥٤-٣٥٧)، و "المبـدأ الـذي يقـر أن كـل الحـوادث حتمتهـا حوادث سابقة .. من ثم فأن أي حدث من أي نـوع أثـر لسلسلة سابقة من الآثار، سلسلة سـببية كـل حلقـة مـن حلقاتهـا مكينـة" (هونـدرتش، ٢٠٠٣، صـفحة ٢٧٠)، وقـد ورد في قـاموس كـامبيردج للفلسـفة بمعنـى "الـرأي القائل بأن كُل حدث أو حالة من حالات الواقع تحدث نتيجة لأحداث أو حالات سابقة، وفقـاً لقـوانين كونيـة شاملة. ونظراً لأن الحتمية عقيدة عالميـة شـاملة، فإنهـا تشمل الأفعال والاختيارات الإنسـانية أيضـاً، ولكـن إذا كانت الأفعال والاختيارات مُحددة سـلفاً، فـإن بعضـهم يخلص إلى أن الإرادة الحُرة ليست سوى وهـم، فالعمـل أو الاختيار هو نتاج حتمي لعوامل سابقة جعلت البدائل مُستحيلة، حتـى وإن كـان الفاعـل قـد فكـر بجديـة في الخيـــارات الممكنـــة" (Audi, 1999, pp. 228-229) . وكـذلك اقـترن مصـطلح الجبريـة بمفهـوم الضرورة (تُطلق الضرورة على القوانين المدنية والأخلاقيـة وتسمى إلزاماً، وإذا طُبقت على قـوانين الطبيعـة تسـمى ضرورة فيزيائية، وهنـاك ضـرورة لاهوتيـة، تُطلـق علـى واجب الوجود، والضروري هو الذي لا يمكـن أن يكـون بخـلاف مـا هـو كـائن. والله هـو وحـده الموجـود الـذي يتصـف بهـذه الصـفة، وتقـال الضـرورة علـى الحتميـة) (بـــدوي، ١٩٩٦، الصـــفحات ٥٣-٥٤) واللااختيـــار، حيـث تُشـير إلى نفـي الإرادة والحريـة مـن الإنسـان (الفرد)، ويُنظر إلى أفعاله كنتاج لقوى أو علـل خارجيـة أو داخلية تقهر الفرد وتدفعه إلى الفعل دون وعي حر أو قرار ذاتي.

أما تعريف الاختيار لغةً واصطلاحاً، ففي اللغة الاختيار مأخوذ من مادة خَيَرَّ، إذ جاء في لسان العرب تَخَيَّرَ الشيء: أي اختارهُ، والاختيار: الاصطفاء وكذلك التَخَيُّر (منظور، ١٩٩٩، الصفحات ٢٥٨-٢٥٩)، والاختيار اصطلاحاً هو "ترجيح الشيء، وتخصيصه، وتقديمه على غيره، وهو أخص من الارادة، وله عند القدماء معنيان: الأول كون الفاعل بحيث أن شاء فعل، وان لم يشأ لم يفعل، والثاني صحة الفعل والترك، بمعنى ان المختار هو القادر الذي يصح منه الفعل والترك، فإن شاء فعل وأن شاء ترك" (صليبا، ١٩٨٢، صفحة ٤٨). ويرتبط الإختيار ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الإرادة والحرية والمسؤولية، وله أهمية كبيرة في الفلسفة وخاصةً في مبحث الإرادة الحُرة (حرية الإرادة)، وكذلك في علم الأخلاق، حيث يُنظر إلى الفعل المُختار بوصفه أساساً للمسؤولية الأخلاقية.

مشكلة الجبر

تُعد مشكلة الجبر من المشاكل المُعقدة التي طُرحت بقوة من قبل الباحثين والمفكرين والفلاسفة ورجال الدين طوال تاريخ الفلسفة والفكر (الإسلامي والغربي) لأنها تتعلق بالوجود الإنساني ومصيره. فالجبرية هي "مذهب من يرى أن إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه مجرى الحوادث، وأن كل ما يحدث للإنسان قد قُدّر عليه أزلاً، فهو مُسّير لا مُخيّر" (صليبا، ١٩٨٢، صفحة ٣٨٨). تقوم هذه المشكلة على أساس أن الإنسان مُجبر ولا يمتلك أي حُرية في اختيار أفعاله أو تقرير مصيره، لأنه جزء من كون (= عالم) كبير ومُعقد يعتمد الآلية والحتمية لذلك لا يملك هذا الإنسان الذي هو جزء صغير في عالم كبير أن يختار أفعاله باراته. فالجبرية ودعاتها تجعل من الإنسان مجرد (آلة) أو (شيء) مادي لا حول له ولا قوة، مُسير غير قادر على الفعل والاختيار مما يترتب على ذلك لا سيما في مباحث علم الكلام غياب الثواب والعقاب لغياب القدرة على إختيار الافعال.

وقد اهتم وليم جيمس بهذه المشكلة، وناقشها في نظريته بالإرادة الحُرة، وبين رأيه وموقفهُ منها، حتى أنه أعد محاضرة كاملة بشأنها ألقاها على طلاب كلية هارفارد الدينية (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، الصفحات ١١١-١١٦)، فهو يرى أنه من الخطأ القول بأن "البحث حول مسائل الجبر والإختيار قد أخرج كل ما فيه من عُصارة من زمن بعيد ولم يبق للباحث الجديد إلا أن يوجد شيئاً من الحرارة في تلك المناقشات الماضية التي لا بُد أن يكون قد سمعها كُل إنسان" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١١)، وهي (اي مُعضلة الحتمية) أقل تأكلاً – حسب تعبيره– وللعبقرية المُبدعة فرصة أفضل لفتح آفاق

جديـــــــدة فيهـــــــا (James, The Will to Believe,and other Essays in Popular Philosophy, 2024, p. 66) ، أي أن قضـــــــية الحتمية حسب رؤية جيمس لم تفقد أهميتها أو صارت بـلا جـدوى، بـل يـرى أنهـا مـا تـزال تحـتفظ بعمقهـا الإشكالي، وإنها تُتيح للمفكرين المُبدعين فرصـة لتقـديم قراءات وطروحات جديدة يمكـن أن تُغـير طريقـة فهمنـا للإنسـان والعـالم والحُريـة. حيـث تُعـد هـذه المشـكلة (القديمة الجديدة) مشكلة حقيقية تتطلب البحث الـدائم لانها لم تُحسم، فما زال لها مؤيـدون ومعارضـون حتـى يومنا هذا.

صـرح جـيمس بـأن البراجماتيـة (اتجـاه فكـري أمريكـي، ظهـر في القـرن العشـرين، صـاغها لأول مـرة تشارلز بـييرس كمـنهج للـتفكير أو كنظريـة في المعنـى، وأعاد وليم جيمس صياغتها كنظرية في الصدق، وطورها جـون ديـوي كمـذهب في الإرادة) (الحفـني، ٢٠١٠، الصفحات ٢٦٩–١٧١)، هـي طريقـة لحسم الخلافـات والمنازعات الميتافيزيقية والإجابة عن هذه الاسـئلة "هـل العالم واحد أم مُتعـدد؟ أهـو مُسير أم مُخـير! مـادي أم روحاني؟" (جـيمس، البراجماتيـة، ٢٠٠٨، الصـفحات ٦٣–٦٤). وبـين في مقالتـه (معضـلة الحتميـة The Dilemma of Determinism) (الـــــتي وصفها بنجامين بول بلود بأنها أروع قطعة فنيـة بارعـة في كتـاب ولـيم جـيمس إرادة الاعتقـاد) (بـيري ب.، ٢٠١٣، الصـــفحات ٣٥٦–٣٥٧) تنـــاقض الحتميـــة ودُعاتها مع ذاتها ومع القضـايا المُتعلقـة بهـا، ورفضـها تمامـاً لإثبـات الحريـة (الخـولي، ٢٠٠٠، الصـفحات ٢٣٠–٢٣١).

وقد تساءل في مقالته هذه عن السـبب الـذي يجعلنـا أُحاديين أو مُتعددين، حتميين أو غير حتميين، وكانت إجابته أن معتقداتنا أو مسلماتنا العقلية هي التي تحـدد ذلـــــك (James, The Will to Believe,and other Essays in Popular Philosophy, 2024, pp. 66-81). عـرف جـيمس (الجـبر) بأنـه يعني وجود "كيفية خارجية قد توجـد عليهـا الأشـياء" (جيمس، العقـل والـدين (وهـو السـفر الثـاني مـن إرادة الاعتقـاد)، ١٩٤٩، صـفحة ١١٥)، وأن الجـبر يُنكـر وجـود الاحتمـالات ولا يوجـد غمـوض في المسـتقبل، والحاضـر هـو جـزء مـن كُـل وإمتـداد لمـا قبلـه، "وكـل مستقبل خلاف ذلك الذي قُـرر مـن الأزل فهـو محـال؛ ويوجد الكل في كل جزء من اجزائه، ويضم تلك الاجزاء كلها ويصـهرها إلى وحـدة مطلقـة وإلى كتلـة حديديـة لا التواء فيها ولا غموض" (جـيمس، العقـل والـدين (وهـو السـفر الثـاني مـن إرادة الاعتقـاد)، ١٩٤٩، الصـفحات ١١٥–١١٦)، وهذا ما يرفضه جيمس لأنه أدرك أن هذه الجبرية المتطرفـة –كمـا يسـميها– أو الجبريـة الصـارمة

تعني وجود كون أكتمل وأنتهى تماماً، كون مُغلق (جلال، ٢٠٠٠، صفحة ١٣٠)، لا يأتي المستقبل فيه بشيء جديد عما جاء به في الماضي والحاضر، إذ يرى الجبريون أن الأفراد عبارة عن ذرات صغيرة ضمن جرم اكبر كون هائل، وهم بذلك يُقللون ويُحقرون من شأن الإنسان –كما يقول جيمس– وينقصون من قدره، مُنكرين لقدرته على إتخاذ القرارات والقيام بافعاله بحرية كاملة، قائلين: "أن الإفراد لا يُوجدون أو يُخلقون أو يُبرئون شيئاً، وانما فقط ينقلون إلى المستقبل الدفع الكلي لماضي الكون" (جيمس، البراجماتية، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٥). فضلاً عن ذلك يُنكر أصحاب المذهب الجبري وجود (الاحتمالات) مُبينين ان (الضرورة) و (الاستحالة) هما المقولتان المتحكمتان في الحقيقة، والقول بالمكنات أو الاحتمالات وهم وخيال، فهم يقولون: "ليس هناك من جديد في عالمنا هذا وكل ما كان واقعياً فيه أو يكون كذلك أو سوف يكون كذلك فهو كذلك من الأزل، وأما تلك السحابة من المتقابلات المكنات التي تتخير من بينها عقولنا تلك المجموعة من الواقعيات فليست إلا سحابة غاشة خادعة" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٦) حتى انه وصفها بالإستحالة.

وقد تبنى العديد من الفلاسفة طِوال تاريخ الفلسفة؛ مفهوم الضرورة، لا سّما الفيلسوف الالماني باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢–١٦٧٧م) الذي رأى أن العالم محكوم بقوانين طبيعية قاسية تجعل الحرية وهماً، وأن النفس الإنسانية لا تمتلك إرادة حرة مُطلقة، بل مجبرة على أفعالها وتتحكم فيها سلسلة من العلل الى ما لا نهاية حتى نصل الى العلة الاولى (الله) وهو العلة الحُرة لسائر العلل الاخرى، وكل شيء يصدر عنه بالضرورة (ابراهيم، ٢٠١٠، الصفحات ٥٢–٥٣). وذهب الفيلسوف التجريبي ديفيد هيوم David Hume (١٧١١–١٧٧٦م) إلى أن "الضرورة تتحكم في الأفعال الإنسانية كما تتحكم في الأحداث الطبيعية" (ابراهيم، ٢٠١٠، صفحة ٥٤).

وفي عام ١٨٨٤م صاغ جيمس أمام طلاب كلية اللاهوت في جامعة هارفارد؛ مصطلحي (الحتمية الصارمة) و (الحتمية الناعمة)، أطلق على الحتمية القديمة أو الميكانيكية حسب تعبيره تسمية (الحتمية الصارمة)، التي تستخدم كلمات مثل القدرية، وعبودية الإرادة، والضرورة وغيرها، أما النوع الثاني فهو حتمية جديدة سماها (الحتمية الناعمة) تمقت وترفض هذه الكلمات القاسية –حسب تعبير جيمس– وتُنكر القدرية والضرورة وترى أن اسمها الحقيقي هو (الحرية) لأن الحرية هي فقط الضرورة المفهومة، والعبودية والقسر مطابقة للحرية الحقيقية ولا تختلف عنها (James,

The Will to Believe,and other Essays in Popular Philosophy, 2024, pp. 67-68).

يُنكر أصحاب مذهب الجبرية القول بـ(المصادفة)(لكلمة صُدفة–مُصلدفة chance في العلم والفلسفة عدة معانٍ عامة: فهي تقابل الضرورة والقانون والتدبير والغائية، لأن ما يحدث صُدفة يُنفى حدوثه بالضرورة وإنما بالعرض، وما يحدث صدفة يعني عدم خضوعه للقوانين التي نعرفها، وما لا يصدر عن تدبير أو قصد أو غرض) (زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، ١٩٨٦، الصفحات ٥٣٢–٥٣٣)، ويرفضونها لأنها في نظرهم تعني (اللامعقولية)، ويرون انها سلب للاطراد والقانون، وإذا صح إن وجدت في مكان ما أو أي مكان –كما يقول جيمس– "فما الذي يمنع الآلة كلها من أن تتدهور دفعة واحدة وما الذي يمنع النجوم من الأفول ومن ترك مجراها الطبيعي؟ وما الذي يمنع الهيولى من الرجوع إلى عهدها المقلوب رأساً على عقب ثانيةً ؟" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٨)، وبذلك تكون الحتمية والضرورة مقولات اساسية للمذهب الجبري.

ويرى جيمس أن الخلاف بين الجبريين والقائلين بالمصادفة هو خلاف ميتافيزيقي، حيث إن دُعاة وأصحاب المذهب الجبري ينكرون التعددية والإبهام في الإرادات المستقبلية –حسب تعبيره– ويقولون بالواحدية وان المستقبل ليس فيه لا إبهام (= غموض) ولا تعدد (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٣). أما أصحاب اللاجبرية (= الحرية) يؤمنون بتعدد الكون وإمكانية ان يأتي المستقبل بالجديد غير الموجود لا في الماضي ولا في الحاضر وغير المتوقع.

الجبرية بين التشاؤم والتفاؤل

تُعد مشكلة الجبر من الإشكاليات الفلسفية التي تحمل في طياتها آثاراً متباينة تتراوح بين التفاؤل والتشاؤم، حيث يمكن النظر إليها من منظورين مُختلفين، فمن جهة، ينظر اليها بعض الفلاسفة بتفاؤل، باعتبارها تعبيراً عن انتظام الكون وقوانين الطبيعة الثابتة، وهو ما يمنح العالم وضوحاً وتنظيماً يساعد الإنسان على التنبؤ بالأحداث وفهمها، ويؤدي إلى يخلق شعوراً بالأمان واليقين العلمي، أما من جهة أخرى، يحمل الجبر في طياته جانباً متشائماً يؤثر على فكرة الحرية والاختيار، ويثير مخاوف تتعلق بفقدان الإنسان لإرادته وقدرته على التأثير في مصيره. فلو كان الإنسان مُسيراً بالكامل، فهذا يعني أنه لا يتحمل مسؤولية أفعاله. هذا التشاؤم يظهر بوضوح في مواجهة الإحساس بالعجز والاغتراب عن الذات، حين يرى الإنسان أن قراراته مجرد نتاج حتمي لقوى خارجية لا

يستطيع أو يعجز عن مقاومتها. وفي هذا الإطار، تتضح أهمية موقف وليم جيمس الذي حاول تجاوز هذه الثنائية الحادة، من خلال مقاربته البراغماتية التي ترفض النفي القاطع للحرية، وترى في تجربة الإرادة الحُرة أمراً حقيقياً وفعالاً في حياة الفرد، رغم الإقرار بوجود عوامل مؤثرة. فقد ربط بين الجبرية والتشاؤم والتفاؤل بطريقة مُبتكرة وفريدة من نوعها، إذ لم يُقدم الجبرية كقضية او مشكلة ميتافيزيقية، وانما كمسألة لها أثر نفسي وأخلاقي على مشاعر الإنسان وحياته.

حيث يرى وليم جيمس أن مشكلة الجبر والاختيار قد أنزلقت بنا –حسب تعبيره– بالضرورة إلى مشكلة التشاؤم والتفاؤل (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٨)، ذلك ان القول بالجبرية في هذا العالم يعني "انه عالم لا بُد أن نصدر فيه دائماً ما أسميه بأحكام الأسف والندم التي تكاد تلازم حياتنا، فلا تكاد تمر علينا ساعة من الساعات لا نرغب فيها في حصول شيء غير ما حدث" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٤) في حياتنا من احداث وأمور لا نتمنى حدوثها.

وصف جيمس الذي يعانيه الإنسان بسبب الجبرية والحتمية من كُثرة الأسى والندم بـ(الحماقة والجهل)، وهي (أي الحماقة والجهل) غير موجودة عند العقلاء لذلك لا يظهر عليهم الأسى والندم (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٤). فالجبرية تجعل الشر في العالم شراً محتوماً، وبالتالي تسلب من الإنسان القدرة على الرفض والمقاومة، إن الجبرية تجبرنا على قبول كل ما يحدث (حتى الظلم) كضرورة كونية.

وقول اصحاب الجبرية إن ما وقع بالفعل لا يمكن تغييره، ونكرانهم حدوث ما هو مخالف لما وقع بالفعل، يجعل من العالم "مكان يستحيل فيه وجود ما حقه أن يوجد" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٥). وهي بهذا تجرنا نحو التشاؤم، هذا التشاؤم الذي لا يمكن للجبرية التخلص منه إلا بترك أحكام الأسى والأسف (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٦)، وهو ممكن الحصول والتاريخ يشهد على ذلك، ويستشهد جيمس بمثال: وهو ان الوجود الطويل للشيطان قد يكون خيراً "ذلك أنه على الرغم من انه مبدأ الشر فقد يكون العالم معه من ناحية عملية خيراً منه على فرض وجوده من غيره. وفي كل ناحية من نواحي الحياة نجد أن مقداراً من الشر ضروري لوجود نوع سام من الخير" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩،

صفحة ١٢٦). وهو يرى أن اللاحتمية هي الوسيلة الوحيدة "لتحطيم هذا الكون إلى أجزاء خيرة وأجزاء شريرة، تمهيداً لمناصرة الأولى ضد الثانية" (العرب، ٢٠١٥، صفحة ١١٧).

إذاً وبمرور الزمن ينشأ عن التشاؤم نوع من التفاؤل، على أساس أن بعض انواع الشر ضرورية لوجود خير أسمى، وبذلك –والكلام لجيمس– "يتحول تشاؤمنا الجبري إلى تفاؤل جبري، وذلك بترك أحكام الأسى والحُزن" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٧). فالعالم من وجهة نظر فيلسوف الحرية (وليم جيمس) ليس تفاؤلياً ولا تشاؤمياً، بل نسبي (ذاتي) (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٢٨) فيه خير وفيه شر، تفاؤل وتشاؤم، فيه أفعال حسنة وأفعال قبيحة، وهذا يؤدي في النهاية إلى الاعتراف بوجود (الاحتمالات) في العالم، وهذا ما يقول به أصحاب مذهب اللاجبرية (أو حرية الإرادة) الذين يتصورون "العالم عالماً معرضاً للخطر، وقابلاً لأن يؤذي ويجرح بتصرف أي جزء من أجزائه، إذا لم يتصرف على نحو مستقيم، وتصور فعل الخطأ فعلاً أو حادثة ممكنة وليست ضرورية ولا مستحيلة الوقوع. فهي تُقدم لنا عالماً مُتعدداً مُتغيراً" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٣٩)، مُتعدد الإمكانات وقابل لكل شيء جديد.

مشكلة الحرية

ترتبط مشكلة الحرية بمشكلة الجبرية، كونهما ترتبطان بالإنسان وبأفعاله في هذا العالم، هل تصدر عن أختيار وإرادة حُرة أم هو مُجبر عليها ؟

يرى أصحاب مذهب الحرية أو الاختيار (اللاجبرية بتعبير جيمس) أن الكون مليء بالاحتمالات والمصادفة تزيد على الواقعيات و "أن للأجزاء مقداراً مُعيناً من تأثير بعضها في بعض تأثيراً لا تحديد فيه ولا تعيين، بحيث إن وجود أحدهما لا يُحدد بالضرورة الكيفية التي يوجد عليها الجزء الآخر" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٦).

ويُعد بييرس في مقدمة الفلاسفة البراغماتيين المثبتين لمبدأ الصدفة (اللاحتمية) على أُسس منطقية وفي ضوء الفيزياء الكلاسيكية (الخولي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣٧)، حتى أنه طور فكرة (العشوائية) كعنصر أساسي في فلسفته، أطلق عليها اسم (تيغيزم) أي (الصدفة). وكان أقوى صوت فلسفي للصدفة المطلقة منذ أبيقور(٣٤١–٢٧٠ ق.م)، جادل بأن الصدفة تُحرر الإرادة من الحتمية (Doyle, 2010, p. 2) ، وهو لا يُنكر وجود انتظام في الكون ولكنه يعترف بوجود إنتظام

تقريبي، وإن كل حدث يتأثر به لكن تنوع الأشياء وخصوصيتها وعدم انتظامها هو صدفة (Peirce, 1892, p. 332). وقال أن ظاهرة النمو والتطور المعقدة، قد تبدو مسألة آلية، إلا أنها تُظهر التنوع المتزايد، وهذا التنوع هو السمة الأكثر وضوحاً في الكون ولا يمكن لأي آلية أن تفسره، ويجب الاعتراف به، والصدفة تتمثل في افتراض أن هذا التنوع لا يسبق كل العصور، ووضع مجموعة من الحجج في نقد القول بالضرورة (الحتمية) (Peirce, 1892, pp. 333-337).

أما وليم جيمس وهو موضوع بحثنا فهو فيلسوف حرية الإرادة بحق، ومن المُدافعين عنها "وسندتها المخلصين وربما لأسباب براجماتية، فالحرية الإنسانية لها نتائج عملية مفيدة في تحمل المسؤولية، وجدوى الثواب والعقاب والقيم الخلقية إجمالاً والإبداع والتميز" (الخولي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٣)، حيث سعى إلى تأكيد وجود إرادة حرة للإنسان، لا سّما في كتابه (أصول علم النفس) وتفكيك ودحض الاعتقاد بالجبرية (جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، ١٩٦٩، الصفحات ٨-٩)، وقد تأثرت فلسفته إلى حد ما بفلسفة الفيلسوف الفرنسي (رينوفييه) الذي أنتصر لمذهب الاختيار وحرية الإرادة الإنسانية على المذهب العلمي الجبري (وولف، (ب.ت)، صفحة ١٠). وقد حصر جيمس الحرية في "فتح الشعور أو إغلاقه أمام بعض الأفكار" (ابراهيم، ٢٠١٠، صفحة ١٥٩)، وكيفما نوجه أفكارنا تتوجه أفعالنا، والعقل الانساني هو مسرح لإحتمالات متزامنة -حسب تعبير جيمس- ويتمثل الوعي في مقارنة هذه الاحتمالات أو الممكنات مع بعضها البعض، واختيار بعضها وترك وكبت بعضها الآخر بواسطة قوة الانتباه التي تقوم بالتعزيز والكبح (James, The principles of Psychology, 1890, p. 288).

وهذا يعني أن الذات الواعية ليست مجرد متلقي للمعطيات بل فاعل يختار ويُقرر، فالعقل ينحت العالم الذي يعيش فيه من بين كم هائل من المعلومات، تماماً كما ينحت الفنان تمثاله من صخرة واحدة، وهذا الفعل يتضمن قراراً، أي إرادة حُرة (James, The principles of Psychology, 1890, pp. 288-289).

والحرية عنده "تراخٍ في إرتباط الأشياء بحيث إن المستقبل لا يتعين تعيّناً لا مفر منه بالماضي والحاضر. وعلى ذلك فالحرية تنقذ التاريخ من الهبوط إلى محض تكرار سقيم" (جيمس، بعض مشكلات الفلسفة، ١٩٦٩، صفحة ٩). وقد ربط كرامة الإنسان بإمتلاكه لإرادة حُرة، فهي -كما يصفها- "مبدأ، ملكة إيجابية، اقتدار أو فضيلة مُضافة إلى الإنسان بحيث تزيد من كرامته زيادة لُغزيَّة" (جيمس، البراجماتية، ٢٠٠٨،

صفحة ١٤٥). ذلك أن القول بحرية الإرادة الإنسانية يجعل من الإنسان كائناً يمتلك شخصية وكرامة ووجود حقيقي. ويرى جيمس أن الأساس الحقيقي لأفتراض الإرادة الحرة هو أساس براجماتي، و "لا شأن له بهذا الحق المُهان للعقاب الذي أحدث كل هذه الجلبة والجعجعة في المناقشات الماضية للموضوع" (جيمس، البراجماتية، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٩)، بأن الإنسان مُجبراً مُقيداً في تصرفاته فلا مجال للقول بالثواب والعقاب، وبالتالي لا يترتب على الإنسان أي مسؤولية. اذاً يرفض جيمس القول بالجبرية أو الحتمية أو الضرورة، ويؤمن بأن كل انسان يمتلك إرادة حُرة، ويعتقد انه "في إستطاعة الإنسان أن يُحقق في العالم كل شيء يحكم العقل بوجوب تحققه" (وولف، (ب.ت)، صفحة ١٠٩). وهو بذلك يُنكر ويرفض أن يكون للجبرية أي سُلطان على العالم الذي نعيشه.

وقد أرتبطت نظرة وليم جيمس للحرية – والكلام لزكريا إبراهيم – بنزعته التعددية في النظر إلى العالم من ناحية، وبمذهبه النفسي (السيكولوجي) في الجهد الإرادي من ناحية أُخرى (إبراهيم، ١٩٦٨، الصفحات ٤٦–٤٨)، فقد تصور العالم "على انه واقعة مرنة لا تكف عن التغير والتشكل والتجدد، بحيث أن الحرية نفسها لتبدو هنا بمثابة صورة من صور الجدة أو الأصالة التي تميز ذلك العالم المُتكثر" (إبراهيم، ١٩٦٨، الصفحات ٤٦–٤٨). وأن الأخذ بفكرة التعدد تستلزم بالضرورة القول باللاجبرية أو انعدام الحتمية (الحرية)، التي ترفض "القول بأن العالم حقيقة واحدة لا تقبل الانفكاك، وتقول إن هناك نوعاً من التعدد" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٦). وأن الصدفة والحرية والصيرورة والتغير مفاهيم ملازمة ولا تكاد تنفصل عن المذهب التعددي (العرب، ٢٠١٥، صفحة ١١٧)، فالعالم عند انصار حرية الإرادة هو عالم مُصادفة، وقد دافع عراب المذهب البراغماتي جارلس بيبرس عن الصدفة، وعدّها مبدأ واقعي وحقيقي، مؤكداً "ان مبدأ الصدفة هو واحد من أكبر المقولات المُتعلقة بتفسير الكون إلى جانب مبدأ الاستمرار ومبدأ التطور" (بدوي، ١٩٩٦، صفحة ١٩٧). وقد أستخدم جيمس كلمة مُصادفة بدل كلمة الحرية وتعني عنده التعدد، وعدّها إمتداد للحرية الأخلاقية (بيري ر.، ٢٠١٣، صفحة ٤٧٦)، ويصفها بأنها "كلمة سالبة لا تعني إلا أنه ليس هناك جزء من العالم مهما عظم يمكنه أن يزعم أن له الحق في أن يتحكم في مصير الكل تحكماً مطلقاً" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٩، ١٢٤، ١٢٣). فالأشياء غير مرتبطة بشيء أخر سابق عليها، وغير مضمونة الوجود، وبالتالي هي غامضة ومُبهمة، ولا يمكن التنبوء بحدوثها، وهذا عكس

ما يقوله أنصار المذهب الجبري الذين ينكرون وجود إبهام (غموض) وتعدد ومُصادفة في هذا العالم، وأن الضرورة والاستحالة هي التي تتحكم فيه، فهم يكرهون فكرة (المصادفة او الصدفة) –كما يقول جيمس– وينتابهم الخوف والقلق والشك حولها "والمصادفة فكرة لا يمكن أن يتقبلها عاقل وصفاً لما يحدث في العالم" (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١١٨). لكننا نعيش (حسب رؤية جيمس) في عالم تتحكم فيه المُصادفة لا الحتمية "وهو عالم مصادفة وفرصة لا قسمة وقدر كل شيء فيه ليس نهائياً وتاماً وقد نغير بأفعالنا كل شيء فيه" (ديورانت، ١٩٧٥، صفحة ٦٢١). فالصدفة عند جيمس –كما عند داروين– قوة إبداعية وهو بذلك عكس بييرس الذي رغم إيمانه ومناصرته للصدفة إلا أنه اعتقد أنها قوة بلا هدف (Doyle, 2010, p. 3)، والصدفة عنده ليست السبب المباشر للفعل، وإنما قدم لنا نموذج للإرادة الحُرة يتكون من مرحلتين: الصدفة (العنصر الحُر غير الحتمي) والاختيار (قرار يمكن القول إنه مُحدد ويتبع سبباً شخصية المرء وقيمه وخاصة مشاعره ورغباته في لحظة إتخاذ القرار)، إذاً نموذج جيمس يتكون من بعض الصدفة وبعض الإرادة الحُرة المُحددة، فهناك –حسب رأيه– حاجة الى بعض الصدفة لكسر السلسلة السببية للحتمية المنطقية الصارمة، وفي نفس الوقت هناك حاجة الى بعض التصميم لحماية الإرادة من قراراتنا العشوائية (Doyle, 2010, pp. 8-13). وبذلك قصر الصدفة على توليد الاحتمالات البديلة، لإثبات الحرية مع الحفاظ على المسؤولية مُتأثراً بداروين ونموذجه للإنتقاء الطبيعي.

آمن جيمس بفكرة التعددية وهي عنده تتقبل فكرة الإرادة الحُرة، بينما يرفض فكرة الواحدية ويعتبرها فكرة ميتة؛ لأن الإنسان في العالم الواحد يقوم بتنفيذ الأعمال التي رسمها الله له كرهاً أو طوعاً، وحتى الفردية وهم وخداع في عالم يتسم بالكمال التام، هذا بالنسبة لإرتباط الحرية بمذهب جيمس التعددي، أما بالنسبة لأرتباطها بمذهبه السيكولوجي، نجد أن جيمس في كتابه (الموجز في علم النفس) يصف أفعال الإختيار بأنها (آلية) أو (إنعكاسية)، "وهذه الأفعال هي رغبة نحو هدف مُعين، مُحدد مُسبقاً، وطبيعة هذه الافعال تكون مكتسبة وليس فطرية أو وظيفية أو جزء من نظامنا البيولوجي" (سبتي، ٢٠٠٠، الصفحات ٩٦–٩٨). فالإرادة عنده ليست منفصلة عن مظاهر الحياة الأخرى "بل هي تعبر عن ذلك الميل الذهني الحركي الذي يدفع بالافكار دائماً نحو انتاج مجموعة من الحركات" (إبراهيم، ١٩٦٨، الصفحات ٤٧–٤٨). ويرى كذلك أن ماهية الإرادة تتطلب استعداد ذهني عالي لتركيز انتباهه في فكرة واحدة واستبعاد الأفكار الاخرى، كون حرية

الإرادة –وفق فهم جيمس– تمثل "قدرة الذهن على التحكم في جهده الإنتباهي" (إبراهيم، ١٩٦٨، صفحة ٤٨).

ربط جيمس بين حرية الإرادة ومعتقداتنا الدينية، فهي عنده جزء من المذاهب الدينية، وإنها لا تملك أي معنى "ما لم تكن مذهباً للغوث أو التفريج، وبهذه الصفة فإنها تأخذ مكانها مع المذاهب الدينية الأخرى" (جيمس، البراجماتية، ٢٠٠٨، صفحة ١٥١)، ولا تتعارض مع الاعتقاد والإيمان بوجود الإله، ما دمنا لا نحصر عمل الإله بالاقتصار على إعطاء وتوجيه أوامر وأحكام قضائية تتسم بالشدة والصرامة (جيمس، العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد)، ١٩٤٩، صفحة ١٤٢). فقد أكد في كتابه (العقل والدين) على دور الإختيار الشخصي في الإيمان، فهو يرى ان الايمان نفسه فعل إرادي، وليس مجرد نتيجة لمعطيات عقلية او حتميات بيولوجية. وهذا ينسجم مع موقفه الرافض للحتمية، حيث يعتبر أن الإنسان يختار معتقداته بناءً على ما يمنحهُ شعوراً بالمعنى والراحة النفسية.

وكذلك ربط بين الإرادة ومظاهر الحياة العقلية مثل التدبر والتروي والانتباه، وهي عنده ليست إلا "قدرة الذهن على التحكم في جهده الإنتباهي" (إبراهيم، ١٩٦٨، صفحة ٤٨)، ويمثل الانتباه الإرادي المُحفز الأول الذي يستثير الفعل، إذ يعمل بصورة مباشرة على توليد الحركة المطلوبة لإنجاز وتنفيذ السلوك أو الفعل المقصود (إبراهيم، ١٩٦٨، صفحة ٤٨).

وبذلك يكون جيمس قد أقرّ بوجود أرادة حُرة وأمكانية الاحتمال في هذا العالم، وأنكر الجبرية والحتمية، فالمستقبل دائماً يأتي بالجديد حسب فعل الإنسان وإرادته؛ لكن قوله بالحرية لم يجره أو يؤدي به إلى إنكار وجود خالق لهذا الكون ومدبر له؛ لأن الاعتقاد بوجود هذا الإله يمنحنا أجازات اخلاقية، ويؤدي بنا الى الرضا النفسي.

الخاتمة

تمثل مشكلة الجبر والاختيار احدى أعمق القضايا الفلسفية وأكثرها تشابكاً، إذ تمس جذور التصور الإنساني للحرية، والمسؤولية، والمعنى الأخلاقي للحياة. وقد شكلت هذه الإشكالية محوراً أساسياً في فلسفة وليم جيمس، الذي حاول من خلال رؤيته البراغماتية ان يمنحها بُعداً وجودياً وتجريبياً يتجاوز التنظيرات المُجردة. فقد طرح رؤية جديدة تستند إلى القيمة العملية لحرية الإرادة في حياة الإنسان، وأكد على أن الإعتقاد بها ليس مجرد فرضية ميتافيزيقية ، بل تجربة حياتية ذات أثر عملي وأخلاقي، وأن رفض الحتمية لا يعني إنكار القوانين السببية، بل يعني الإيمان بأن هناك

دائماً بدائل مفتوحة أمام الإنسان، وأن قراراته تملك تأثيراً حقيقياً في تشكيل المستقبل، وهذا يُعد موقفاً متفرداً داخل التقليد الفسفي الغربي، لا سيما ضمن التيار البراغماتي الذي غالباً ما يُتهم بالإنصراف عن مباحث الميتافيزيقا.

ويمكن القول إن جيمس أظهر شجاعة فكرية في دفاعه عن اللاحتمية (حرية الإرادة)، ليس بوصفها نقيضاً للعلم أو العقل، بل كخيار إنساني ضروري يُمكن الفرد من تحمل مسؤولياته واتخاذ قراراته الأخلاقية، كما أن محاولته الموازنة بين النزعة العلمية والنزعة الروحية في تعامله مع مفهوم الإرادة، تُبيّن مدى وعيه بتعقيد التجربة الإنسانية .

إن موقف وليم جيمس من الجبر والإختيار لا يُعدّ مُجرد تأييد لحرية الإرادة، بل هو إعادة تأكيد على مركزية الإنسان كفاعل أخلاقي قادر على توجيه مسار حياته، وهي فكرة ما تزال تحتفظ براهنيتها في ظل التحديات الفلسفية والعلمية المعاصرة.

اولاً: المصادر والمراجع العربية

ابن منظور. (١٩٩٩). لسان العرب (الإصدار ٣، المجلد ٤). (أمين عبد الوهاب، و محمد الصادق العبيدي، المحررون) بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي.

اشرف حافظ. (١٩٩٩). الجبر والإختيار في الفكر الاسلامي (مشكلة وحل) (الإصدار ١). طرابلس، ليبيا: منشورات دار النخلة.

بارتون رالف بيري. (٢٠١٣). أفكار وشخصية وليام جيمس. (رمضان بسطاويسي، المحرر، و علي محمد العريان، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

تد هوندرتش. (٢٠٠٣). دليل أكسفورد للفلسفة (المجلد ١). (منصور محمد البابور، محمد حسن ابو بكر، عبد القادر الطلحي، المحررون، و نجيب الحصادي، المترجمون) ليبيا: المكتب الوطني للبحث والتطوير.

جميل صليبا. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي (المجلد ١). بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

رالف بارتون بيري. (٢٠١٣). أفكار وشخصية وليام جيمس. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

زكريا إبراهيم. (١٩٦٨). دراسات في الفلسفة المعاصرة (الإصدار ١). القاهرة: مكتبة مصر.

زكريا ابراهيم. (٢٠١٠). مشكلة الحرية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

شوقي جلال. (٢٠٠٠). العقل الأمريكي يُفكر (من الحرية الفردية الى مسخ الكائنات) (الإصدار ٢). القاهرة: مكتبة مدبولي.

عبد الرحمن بدوي. (١٩٩٦). موسوعة الفلسفة (الإصدار ١، المجلد ٢). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبد المنعم الحفني. (٢٠١٠). موسوعة الفلسفة والفلاسفة (الإصدار ٣، المجلد ١). القاهرة: مكتبة مدبولي.

مجموعة من الباحثين والأكاديميين العرب. (٢٠١٥). معجم الفلاسفة الأمريكان: من البراجماتية الى ما بعد الحداثيين. (علي عبود المحمداوي، و محمد الشيخ، المحررون) بيروت / الجزائر / الرباط / بغداد: منشورات ضفاف / منشورات الاختلاف / دار الأمان / دار مكتبة عدنان.

محمد عودة سبتي. (٢٠٠٠). البراجماتية عند وليم جيمس (رسالة ماجستير) . بغداد: قسم الفلسفة / كلية الآداب / جامعة بغداد.

معن زيادة. (١٩٨٦). الموسوعة الفلسفية العربية (الإصدار ١، المجلد ١). بيروت: معهد الانماء العربي.

معن زيادة. (١٩٨٨). الموسوعة الفلسفية العربية (الإصدار ١، المجلد ٢). لبنان: معهد الإنماء العربي.

ولّ ديورانت. (١٩٧٥). قصة الفلسفة (من أفلاطون الى جون ديوي) (الإصدار ٣). (فتح الله محمد، المترجمون) بيروت: منشورات مكتبة المعارف.

وليم جيمس. (١٩٤٩). العقل والدين (وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد) (الإصدار ١). (محمود حب الله، المترجمون) القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية.

وليم جيمس. (١٩٦٩). بعض مشكلات الفلسفة (الإصدار ١). (زكي نجيب محمود، المحرر، و محمد فتحي الشنيطي، المترجمون) القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

وليم جيمس. (٢٠٠٨). البراجماتية (الإصدار ١). (زكي نجيب محمود، المحرر، و محمد علي العريان، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

وولف. ((ب.ت)). فلسفة المحدثين والمعاصرين (الإصدار ٢). (ابو العلا عفيفي، المترجمون) مصر: سلسلة المعارف العلمية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

يمنى طريف الخولي. (٢٠٠٠). فلسفة العلم في القرن العشرين (الاصول الحصاد الآفاق المستقبلية). الكويت: سلسلة عالم المعرفة (٢٦٤).

ثانياً: المصادر الانجليزية

Audi, R. (1999). The Cambridge Dictionary of Philosophy (2 ed.). (R.

Audi, Ed.) NewYork, United State of Amerca: Cambridge University Press.

Doyle, B. (2010). Jamesian free will,The two-stage model of William James. William James studies, 5, 2. Retrieved from http://www.jstor.org/stable/26203733

James, W. (1890). The principles of Psychology (Vol. 1). New York: Henery Holtaud Company.

James, W. (2024, June 17th). The Will to Believe,and other Essays in Popular Philosophy. Global Gry https://www.globalgryebook.com/will-to-believe-and-other-essays-in-popular-philosophy-ebook.html. Retrieved from https://www.globalgryebook.com/will-to-believe-and-other-essays-in-popular-philosophy-ebook.html.

Peirce, C. S. (1892, April). The Doctrine of Necessity Examind. Oxford University Press, The Moinst, 2(3), 332. Retrieved from http://www.jstor.org/table/27896963